**١٩- باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟**

**في الصحيح عن عائشة : أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله»(١).**

**فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل (٢).**

**ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها فقال - وهو كذلك-: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ؛ يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. أخرجاه(٣).**

**ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»(٤).**

**فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن - وهو في السياق- من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد ، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا. فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال صلى الله عليه وسلم : «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»(٥).**

**ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه(٦).**

**فيه مسائل:**

---

١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٣٤) ومسلم في صحيحه برقم (١٢٠٩) .
٢) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ١٨٤) ، وبنحوه في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٧٩) .
٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٣٣٠ / ١٣٩٠) ، ومسلم برقم (١٢١٥) .
٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٦) .
٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٥) ، ومسلم في صحيحه برقم (١١٩١) .
٦) رواه أحمد في المسند برقم (٣٨٤٤) ، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (١١٩٣٨) .

**الأولى: ما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه على قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل .**
**الثانية: النهي عن التماثيل ، وغلظ الأمر في ذلك.**
**الثالثة: العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك. كيف بين لهم هذا أولا ، ثم قبل موته بخمس ، قال ما قال ، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم .**
**الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.**
**الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .**
**السادسة: لعنه إياهم على ذلك .**
**السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.**
**الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره .**
**التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدا.**
**العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.**
**الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ؛ وهم أول من بنى عليها المساجد.**
**الثانية عشرة: ما بلي به صلى الله عليه وسلم من شدة النَّزع.**
**الثالثة عشرة: ما أكرم به صلى الله عليه وسلم من الخلة.**
**الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة .**
**الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .**
**السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته رضي الله عنه .**

---

**الشرح :**
**قال رحمه الله تعالى : (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح.)** من التغليظ يعني من التشديد ومن الوعيد فيمن عبد الله عند قبر .
**قوله : (عبد الله)** فهو يعبد الله جل وعلا ، لا يعبد صاحب القبر، ولا يعبد القبر، لكن عبد الله في هذا المكان ظنا أن العبادة في هذا المكان أفضل من غيرها ، لكنه لم يصرف العبادة إلا لله جل وعلا ، فهذا ليس له حكم الشرك ولكنه وسيلة وذريعة إلى الشرك ، أي وسيلة لأن يعبد صاحب القبر بعد ذلك

، لذلك جاء النهي بالمنع من هذه الصورة ؛ ليس لأنها شرك لكن لأنها ذريعة ووسيلة تؤدي إلى الشرك .

**قوله : «فكيف إذا عبده»** يعني فكيف إذا عبد الرجل الصالح ، أو فكيف إذا عبد القبر. فهذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة ، إذا هناك فرق بين الصورتين ، فهذا الباب وضع للتحذير من وسائل وذرائع الشرك المفضية إليه وبيان لعن من فعلها ، أي من فعل هذه الوسائل فهو ملعون كما سيأتي في الأحاديث وجاء التحذير من ذلك بعدة أنواع وبعدة أساليب .

**الدليل الأول :**

**في الصحيح عن عائشة: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله» فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.**

**قوله : «وفي الصحيح»** يعني في الصحيحين ، في البخاري ومسلم **«عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة»** واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية، وكانت زوج أبي سلمة فلما مات تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهاجرت إلى الحبشة الهجرة الأولى **«ذكرت»** في رواية **«أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا»** يعني في الصحيح أن أم سلمة وأم حبيبة، وأم حبيبة اسمها رملة بنت أبي سفيان وهي أيضا زوج النبي صلى الله عليه وسلم **«ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة»** وهذه الكنيسة جاءت في الروايات أن اسمها مارية (١) رأتها بأرض الحبشة لما هاجرت إليها ، **«ورأت ما فيها من الصور»** سواء صوراً منسوبة لعيسى عليه السلام أو لمريم أو لغيرهما .

**قوله : « قال: أولئكَ – أو أولئكِ»** فيصح أن تقول أولئكَ ـ بفتح كاف الخطاب ـ لخطاب الجنس ويصح أن تقول أولئكِ ـ بالكسر ـ والخطاب للمرأة للمؤنث.

**قوله : «أولئكِ شرار الخلق»** يعني هؤلاء الذين يبنون المساجد على القبور ويصورون فيها تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله جل وعلا ، ثم بين ذلك صلى الله عليه وسلم فقال: **«أولئكَ – أو أولئكِ- إذا مات فيهم الرجل الصالح»** يعني الرجل الصالح سواء كان نبيا أو غير نبي **«أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا»** المقصود بالمسجد هنا مكان العبادة ليس المقصود

---

(١) كما في صحيح البخاري برقم (٤٣٤) .

مسجداً كمساجدنا، لأن النصارى لا يبنون كمساجدنا وإنما يبنون كنائس ، فالمقصود هنا مكان العبادة كالكنائس ونحوها وكبِيَع اليهود مثلا «**وصوروا فيه تلك الصور**» قال الحافظ ابن رجب في شرحه على البخاري عند قوله «**وصوروا فيه تلك الصور**» قال: **(هذه التصاوير كانت على الحيطان ونحوها ولم يكن لها ظل)**[1] فبين أن هذه الصور التي في كنائس أولئك ليس لها ظل ، يعني ليست تماثيل وإنما هي صور على الحيطان ، وهذا قد يكون في أغلب الأحيان ولكن قد يقال إنه يوجد في بعض الكنائس من يضع أو يمثل تماثيل والله أعلم بحقيقة الحال ، وقال أيضا ابن رجب في هذا الموطن في فتح الباري : **(فتصوير الصور على مثل صور الأنبياء والصالحين للتبرك بها والاستشفاع بها محرم في دين الإسلام وهو من جنس عبادة الأوثان)**. يعني الذي يتخذ الصورة للتبرك بها أو الاستشفاع بها يكون من جنس عبادة الأوثان وهو الذي أخبر النبي أن أهله شرار الخلق عند الله يوم القيامة. ثم يقول: **( وتصوير الصور للتآنس برؤيتها أو للتنزه بذلك والتلهي محرم وهو من الكبائر وفاعله من أشد الناس عذابا يوم القيامة ، فإنه ظالم ممثل بأفعال الله التي لا يقدر على فعلها غيره ، والله تعالى ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى)** .

إذا هو يقول إن الذي يصور الصور ممثل لأفعال الله يعني يريد أن يفعل فعلا كفعل الله جل وعلا والذي لا يقدر عليه غيره لأنه مهما صور فإنه لن يستطيع أن يفعل مثل فعل الله جل وعلا .

وقال الشيخ صالح الفوزان في تعليقه على هذه المسألة : **(وفيه دليل على أن المصورين من شرار الخلق لأن فعلهم هذا وسيلة إلى الشرك ولأنه مضاهاة لخلق الله)**. فقد بين العلة وهي المضاهاة المنصوص عليها في الأحاديث كقوله : «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**»[2] وقد ذكر أهل العلم علة أخرى وهي أنه ذريعة ووسيلة إلى الشرك ، وقال أيضاً **:( وهذا تعجيز لهم )** ، فدل على أن المصورين هم شرار الخلق سواء كانوا يصورون ببناء التماثيل أو بالرسم أو بالتقاط الصور بالآلة الفوتوغرافية ، كل ذلك داخل في الوعيد والنهي الشديد وأنهم شرار الخلق عند الله.

---

[1] انظر فتح الباري لابن رجب (٤٠٥/٢) .

[2] رواه البخاري في صحيحه (٥٩٥٣) .

ثم يقول الشيخ الفوزان : (ومن أخرج التصوير بالكاميرا من حكم التصوير المنهي عنه فليس عليه دليل ولا عبرة بقوله ). إذا الفائدة هنا في هذا الكلام أن العلة التي التمست من الأحاديث هي مضاهاة خلق الله جل وعلا، يعني يريد أن يخلق مثل خلق الله جل وعلا ، يفعل فعلا كفعل الله جل وعلا وهو التصوير.

**قوله : «أولئكِ شرار الخلق عند الله»** هذا التحذير الأول، فوصف هؤلاء الذين يبنون المساجد على القبور ويصورون فيها تلك الصور بأنهم شرار الخلق عند الله ، وهنا قد يسأل سائل : كيف هؤلاء شرار الخلق وهؤلاء ما قصدوا ببناء هذا المكان إلا العبادة وما قصدوا بتصوير هذه الصور أو هذه التماثيل إلا العبادة؟

**فالجواب :** في مسائل الباب يذكر المؤلف رحمه الله أن النية الصالحة لا تسوغ العمل المنهي عنه ، فمع نية هؤلاء الصالحة في أنهم أرادوا العبادة والقربة فإن النبي صلى الله عليه وسلم حكم عليهم بأنهم شرار الخلق عند الله جل وعلا .

**قوله : «فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل»** وهذا الكلام الذي علق به المؤلف رحمه الله على هذا الحديث أخذه من كلام ابن القيم في «إغاثة اللهفان» وأما الكلام الذي قبله مأخوذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» لكنه بالمعنى ، وابن القيم رحمه الله تعالى في «إغاثة اللهفان» ذكر العبارة كما ذكرها المؤلف هنا **«هؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل»** وإلا فأصل الكلام من «اقتضاء الصراط المستقيم» بل تستطيع أن تقول بأن غالب هذا الباب ملخص من كتاب : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، **فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور والبناء عليها** ، سواءً بناء المشاهد أو الأضرحة أو المساجد فهي وسيلة لتعظيم أصحاب تلك القبور وأهلها والافتتان بها ، وفتنة التماثيل التي كان بسببها أول شرك حدث في الأرض كما سبق.

**الدليل الثاني :**

**ولهما، عنها، قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال -وهو كذلك-: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ؛ يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. أخرجاه.**

ثم قال رحمه الله تعالى «**ولهما**» يعني للشيخين البخاري ومسلم «**عنها**» يعني عن عائشة رضي الله عنها «**قالت: لما نُزل**» يعني لما نزل الموت أو مرض الموت أو نزل ملك الموت أو دخل في مرحلة الاحتضار .

**قوله : «برسول الله صلى الله عليه وسلم »** يعني في مرضه الذي لم يقم منه صلى الله عليه وسلم كما ورد هذا في رواية .

**قوله : «طفق يطرح خميصة»** وأخذ وطفق هذه من أفعال الشروع «**يطرح خميصة**» والخميصة كساء له أعلام وله خطوط ، يعني قطعة من القماش مخططة «**يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها**» يعني ضاق نفسه أو تضايق منها ويريد أن يستريح منها «**كشفها**» عن وجهه «**فإذا اغتم بها**» يعني أصابه الغم بسببها ، وهذه فائدة مهمة أنه كان يحذر من فتنة القبور أو فتنة بناء المساجد على القبور أو اتخاذها مشاهد أو الصلاة إليها في حياته ، وكان يحذر أيضا منها في آخر لحظات حياته قبل موته ، في مرض الموت ، فلم يدع هذا الأمر الخطير ولم يترك التحذير من هذه الفتنة في سياق الموت ، فكان مع شدة مرضه في الاحتضار يرفع هذه الخميصة عن وجهه ويقول : «**لعنة الله على اليهود والنصارى**» أي يلعن اليهود والنصارى .

**قوله : «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** فعلة النهي أو علة اللعن في هذا الحديث لليهود والنصارى اتخاذ القبور مساجد ، أنهم اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وهذا نوع آخر من أنواع الوعيد وهو اللعن ، فقد سبق أن من أساليب التحذير من هذا الأمر وصف أولئك بأنهم شرار الخلق عند الله جل وعلا ، وهنا يلعنهم ، يلعن من فعل ذلك ، فمع كل هذه الأساليب في التحذير والوعيد والفتنة كانت وما زالت منتشرة وتزداد انتشاراً في بلادنا وفي خارجها .

**قوله : «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا»** تحذير عام للأمة وأيضا لئلا يصنعوا معه وبقبره مثل ما صنع اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم وصالحيهم.

**قوله : «ولولا ذلك لأبرز قبره»** «أبرز» أي أخرج قبره إلى البقيع ودفن مع المسلمين في البقيع وهي على مقربة من المسجد النبوي .

**قوله : « خشي» خُشي** ـ بضم الخاء ـ أن يتخذ مسجداً ، يعني أن الصحابة خشوا أن يتخذ مسجدا ، أو **خُشي** ـ بالبناء للمعلوم ـ هو صلى الله عليه وسلم أن يتخذ قبره مسجدا ، ثم دفن في بيت عائشة رضي الله عنها ، في المكان الذي مات فيه في حجرة عائشة ، وبهذا الدفن لم يستطع أن يصل إليه أحد لأن

هذه الغرفة لها جدار وبعد هذا الجدار جدار ثان على هيئة المثلث ورأسه في جهة الشمال وبعد ذلك بني جدار ثالث وبعد ذلك وضع سور حديدي حتى لا يصلي أحد إليها ولا يستطيع أحد أن يطوف حولها أو يتخذها قبلة .

والحمد لله هذا لم يحدث وقد حفظ الله جل وعلا نبيه من أن يحدث له ذلك بعد موته لأنه قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**»([1]). قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

**فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران**
**حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وصيانة وأمـان**

**الدليل الثالث :**

**ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك» فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا. فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال صلى الله عليه وسلم: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».**

قال: « **ولمسلم عن جندب بن عبد الله** » وهو جندب بن عبد الله البجلي «**قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس** » أي في هذه الأيام أو الليالي الأخيرة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك هذا الأمر المهم وهو البناء على القبور أو بناء المساجد على القبور أو الفتنة بقبور الصالحين أو الأنبياء .

**قوله** : « **إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل** » **(إني أبرأ)** أي : أتخلى أن يكون لي منكم خليل ، والخليل هو الذي يبلغ غاية الحب في محبته لخليله لأن الخلة أعلى درجات المحبة ، وسميت بذلك لأن المحبة فيها تتخلل الروح والقلب ، ومن ذلك قول بشار بن برد الشاعر المعروف بالفسق والمجون:

**قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا**

---

[1]) رواه مالك في الموطأ برقم (٥٩٣) .

**وبذا**: يعني من أجل ذاك سمي الخليل خليلا .

**قوله : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل »** لأن « **الله قد اتخذني خليلا** » فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتخذ خليلا من البشر لأن الله جل وعلا اتخذه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا .

قال القرطبي : ( وإنما كان ذلك لأن قلبه صلى الله عليه وسلم قد امتلىء من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع خلة غيره ) .

**قوله : « كما اتخذ إبراهيم خليلا »** كما قال تعالى ﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا**﴾(النساء :١٢٥) وفي هذه العبارة رد على الجهمية وعلى رأسهم مؤسس مذهب الجهمية الجعد بن درهم الذي أخذ مذهبه الجهم بن صفوان لأنه هو أول من قال إن الله لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا ، فهذه العبارة «**إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا**» فيها رد على الجهمية وإن شئت قلت على الجعدية لأن الجعد هو أول من قال هذه العبارة الخبيثة ونشرها الجهم من بعده .

**قوله : « ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » (لو)** : هذه حرف امتناع لامتناع ، بخلاف لولا فهي حرف امتناع لوجود « **لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا** » ومع ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أبا بكر وأكن كبير المحبة ، ولما سأله عمرو بن العاص **رضي الله عنه فقال له: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ عَائِشَةُ فَقُلْتُ مِنْ الرِّجَالِ فَقَالَ أَبُوهَا قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَدَّ رِجَال** (١).

فالمحبة ثابتة لمن جاءت النصوص بإثبات المحبة لهم ، قال لمعاذ: **يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ قَالَ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** (٢). وثبتت لأسامة ولغير هؤلاء.

**وقوله : « ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا »** فيه رد على الرافضة الذين يطعنون في الصديق ويذمونه ، بل بعضهم يكفره وبعضهم يجعله مغتصبا للخلافة ، فهم ما بين مكفر ومفسق له ، فهذه الجملة تبين أن أحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم الصديق ، فلو كان سيتخذ أحدا من أهل الأرض خليلا لاتخذ الصديق ، ومع ذلك هؤلاء يكفرونه ويصفونه بأنه الصنم ويلعنونه على رؤوس الناس في المسجد الحرام ، فعندهم دعاء

---

١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٦٦٢) .

٢) رواه أحمد في المسند برقم (٢٢١١٩) .

يقولون في أوله اللهم العن صنمي قريش أبا بكر وعمر، ويدعون بهذا الدعاء وهم يطوفون بالكعبة ، فهذا المقطع أو هذه العبارة من هذا الحديث فيه رد على أولئك الروافض المجرمين الذين سموا بالروافض لأن الإمام زيد بن علي سألوه عن رأيه في الصديق ، يعني في أبي بكر وفي عمر فقال : هما وزيرا جدي صلى الله عليه وسلم.. فأثنى عليهما خيرا.. فكرهوا مقالته وتركوه ونبذوه فقال لهم : رفضتموني رفضتموني ، فسموا بالرافضة.

إذاً أصلهم الشيعة وبعد ذلك افترقوا إلى روافض وإلى اثني عشرية ومنهم الباطنية ومنهم الإسماعيلية ، وهم فرق شتى فصل الكلام عليها صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية وفي غيرها.

وبحث الخلة والمحبة مبسوط في كتاب ابن القيم الداء والدواء وكذلك في كتابه روضة المحبين ، ويذكر هناك درجات المحبة وما يصح أن يطلق منها على الله جل وعلا وما لا يصح .

**قوله : « أبا بكر خليلا »** وهو عبد الله بن عثمان بن عامر .

**قوله : « ألا وإن من كان قبلكم » ألا** : تفيد التنبيه . **« ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد »** هكذا ذكرها المؤلف رحمه الله ، ولفظ مسلم في زيادة : **«قبور أنبيائهم وصالحيهم»** وسقطت من هنا لأن المؤلف كأنه أخذها من اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية بهذا اللفظ لكنها في صحيح مسلم ([1]) **« يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»** لأن الشيخ عزا الحديث لمسلم قال : **« ولمسلم عن جندب بن عبد الله »** يعني البجلي .

**قوله : « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد » ألا** للتنبية كما سبق ، يعني تنبيها بعد تنبيه ، ثم بعد هذا التنبيه نهي **« فلا تتخذوا القبور مساجد »** سبق أن من صور التحذير والوعيد : أولا أن هؤلاء شرار الخلق عند الله ، ثانيا: لعن من فعل ذلك ، ثالثا: تنبيه بعد تنبيه ، رابعا: النهي الصريح بصيغة : لا تفعل ، أو لا تفعلوا ، حيث قال: **«لا تتخذوا»**.

ثم أكد كل هذا بلفظ النهي الصريح فقال : **« فإني أنهاكم عن ذلك »** خمسة أساليب متنوعة في التحذير من اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها واتخاذ قبور الصالحين مس اجد والافتتان بها سواء كانوا من الصالحين أم من الأنبياء ، نبه عليها طيلة بعثته وفي آخر خمس ليال من حياته وكذلك في سياق الموت ، يعني حتى آخر الأوقات والأنفاس له صلى الله عليه وسلم وهو

---

[1]) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٣ – ( ٥٣٢ ) .

يحذر من هذا الأمر الخطير بشتى أنواع التحذير، ومع ذلك فالأمة تعاني من هذا الأمر العظيم والمرض الخطير في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى في البلاد غير الإسلامية ، في البلاد الأوروبية بل إن الآن بعض بلاد العجم كباكستان وأفغانستان فيها هذا الأمر على أشده والفتنة فيها على أعظم ما تتصور نظرا لانتشار الجهل بينهم ، فبعضهم مفتون بقبور الصالحين وأهل الفضل منهم فتنة عظيمة ،ويكثر هذا في دول جنوب شرق اسيا ، ولذا يكثر فيها التنصير وإلى الله المشتكى .

**قوله : « فقد نهى عنه »** هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم.

**قوله : « فقد نهى عنه »** يعني النبي صلى الله عليه وسلم **« في آخر حياته »** كما في حديث جندب الذي مر بنا **« ثم إنه لعن - وهو في السياق- »** يعني في سياق الموت، أي في الخمسة أيام الأخيرة ، لعن من فعله.

ثم علق على هذا شيخ الإسلام بقوله : **« والصلاة عندها من ذلك »** يعني الصلاة عند القبور من ذلك ، فسواء بني مسجدا على القبر أو لم يبن.

فمن فعل ذلك ـ أي الصلاة عند القبور ـ فهو داخل في اللعن والذم والوعيد المذكور في تلك الأحاديث .

**قوله : « والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد »** فلو أن إنسانا ذهب إلى قبر من القبور وصلى في بقعته بقصد أن الصلاة في هذا المكان لها شرف ولها مكانة وهو يصلي لله جل وعلا لا يصلي لصاحب القبر فإن هذا الشخص واقع في هذا الذم و اللعن والوعيد .

**قوله : « وهو معنى قولها »** يعني قول عائشة **« خشي أن يتخذ مسجدا »** يعني يتخذ القبر مسجدا **« فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا »** يعني الصحابة أجل من أن يبنوا حول قبره مسجدا. **« وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا »** لو أن جماعة في مكان من الأماكن أو في عمل قالوا سنصلي في هذا المكان الواسع نجتمع للصلاة فيه ، فقد اتخذوا هذا المكان مسجدا. **« بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا »** يعني حتى لو لم يتخذ للصلاة فيه بصفة مستمرة ، كما جاء في الحديث الذي ذكره الشيخ من حديث جابر **« جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا »** ([1]) وهذا الحديث في الصحيحين ، فأي مكان وأي موضع صليت فيه، يعني بدون قصد أو بقصد ، فاتخذته مصلى تصلي فيه فيطلق عليه أنه مسجد.

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٥) ، ومسلم في صحيحه برقم (١١٩١) .

فالنهي يدخل فيه من بنى على هذا القبر مسجدا أو لم يبن ، ومن صلى حول القبر أو في فنائه أو في البقعة التي حوله ، أو فيما يتعلق به ، بل إذا صلى فيه أو قصد الصلاة فيه بصفة مستمرة يعني حول القبر فإنه يكون داخلا في الوعيد واللعن ولو لم يبن بناء. هذا معنى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى..

**الدليل الرابع :**

**ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه.**

**قوله : « ولأحمد »** يعني للإمام أحمد في مسنده **« بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا »** يعني مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: **« إن من شرار الناس » (إن)** : تأكيدية ، و**(مِن)** : للتبعيض ، **(شرار الناس)** : جمع أشر أو شر **«من تدركهم الساعة» و(مَن)** هذه اسم إن . **« من تدركهم الساعة وهم أحياء »** وشرار الناس هنا على قسمين :

**القسم الأول** : من تدركهم الساعة وهم أحياء. وهؤلاء هم الكفار لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس ، و **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»** ([1]) يعني حتى لا يبقى توحيد في الأرض. أما المؤمنون فتأتي ريح طيبة فتقبض أرواحهم قبل أو قبيل قيام الساعة . فما دامت الأرض معمورة بالتوحيد والإيمان فالناس في خير فإذا سلب هذا التوحيد وهذا الإيمان فهذا إيذان بفناء هذه الأرض بل بفناء الدنيا كلها ، فإن الله جل وعلا لم يخلق الدنيا بما فيها إلا لتوحيده وعبادته والإيمان به سبحانه وتعالى .

**القسم الثاني : « والذين يتخذون القبور مساجد »** فلم يذكر القسم الثاني الذين يشربون الخمور وغيرهم . بل ذكر هذا القسم الثاني من شرار الخلق؛ وهم الذين يتخذون القبور مساجد سواء بالبناء عليها أم بالصلاة حولها أو عندها أو فيها.. وهذا يدل على عظم هذه الجريمة وهذه الفعلة الشنيعة ، وهذا فيه رد على الجماعات الإسلامية كجماعة الإخوان وجماعات التبليغ وغيرهما ممن يزهدون الناس في تعلم التوحيد والتحذير من الشرك ويقولون بأن هذه أشياء قديمة بالية وعندهم أنه ينبغي أن نهتم بلشرك القصور لا شرك القبور، فقد اخترعوا شيئا أسموه شرك القصور، يعني الواجب عندهم الاشتغال

---

[1]) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٣٤ – ( ١٤٨ ) .

بالسياسة والابتعاد عن شرك القبور، فإذا قرأ الإنسان هذا الكلام وهذا الوعيد بشتى أساليبه وما ذكر في الحديث الأخير الذي ختم به المؤلف رحمه الله هذا الباب وأنه جعل من شرار الخلق عند الله جل وعلا هذا القسم الأول : الكفار .

**والقسم الثاني :** الذين يبنون القبور على المساجد أو المساجد على القبور أو الذين يتخذون القبور أماكن للصلاة حولها أو عندها فقد جعل هؤلاء من شرار الخلق عند الله جل وعلا. فهذا فيه أبلغ على رد على هؤلاء المستخفين بالدعاة إلى الله جل وعلا الذين يدعون إلى التوحيد والسنة ويحثون الناس على تصحيح الإيمان وتحقيق التوحيد ويحذرونهم من الشرك.. فهؤلاء في غفلة وأيما غفلة، إنها غفلة عظيمة جدا.

**قوله : «رواه أبو حاتم»** يعني ابن حبان البستي « **في صحيحه** » الذي هو صحيح ابن حبان المسمى بالتقاسيم والأنواع.

**قوله :**

« **فيه مسائل: الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل** »

يعني أن هذا الذي بنى مسجدا لعبادة الله عند قبر رجل صالح ولو صحت نيته فإنه ملعون فاعله ولو قصد العبادة فإن هذه النية وحدها لا تكفي.

« **الثانية: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك** » لقوله «**أولئك شرار الخلق عند الله**» بعد قوله «**صوروا فيه تلك الصور**»

« **الثالثة: العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك. كيف بين لهم هذا أولا** » مبالغته في التحذير، فبين لهم أولا هذا في حياته « **ثم قبل موته بخمس، قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم** » يعني في سياق الموت وفي اللحظات الأخيرة وفي الأنفاس الأخيرة لم يكتف بما تقدم ولم يترك هذا الأمر الخطير لأنه أخطر الأمور وهو التوحيد والتحذير من الشرك ، هذا أخطر الأمور وظل عليه النبي صلى الله عليه وسلم من أول لحظة دعا فيها لله جل وعلا ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)**﴾ إلى آخر لحظة في حياته كما في هذا الحديث ، نظرا لخطورة الشرك وعظم شأن التوحيد ولكثرة من وقعوا فيه. وكان إبراهيم عليه السلام يقول ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ**﴾(سورة ابراهيم) فإبراهيم عليه السلام يخاف على نفسه من الشرك ،

لذلك يقول إبراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم . الخليل الذي اتخذه الله خليلا ، فلا يأمن على نفسه وعلى بنيه الذين منهم أنبياء.

**« الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر »**

يعني كما فعل اليهود والنصارى بأنبيائهم وصالحيهم..

**« الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم »** سبق بيانه .

**« السادسة: لعنه إياهم على ذلك »**. سبق بيانه

**« السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره »**

لقوله **«اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد»** ورغم هذا فبعض الناس تذهب وتشد الرحال إلى قبره صلى الله عليه وسلم ، والذي يأتي إلى الحج ولا يذهب إلى المدينة يظن بأن حجة ناقص، ولا نكاد نجد أحدا من عامة الناس يذهب إلى الحج ولا يذهب إلى الزيارة ـ كما يقولون ـ لأنه يعتقد أن حجه لا يكتمل إلا بزيارة القبر وهذا خطأ في الفهم وخطأ في العمل لأنه إذا ذهب إلى المدينة فإنه ينبغي أن يذهب إلى المدينة بقصد شد الرحل للمسجد للصلاة فيه ، مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، لا شد الرحل للقبر .

**« الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره »** .

عدم إبراز قبره خشية أو خوف الافتتان به أو أن يتخذ مسجدا أو أن يفعل به كما فعلت اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم وصالحيهم.

**« التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدا »**

يكون اتخاذها مسجدا بأحد شيئين : إما بالبناء الفعلي عليها وإما بالصلاة عندها وحولها، لاعتقاد أن هناك فضل زائدا في الصلاة عندها أو حولها أو في البناء المحيط بها.

وأهل العلم في الصلاة عند القبور أو في المساجد المبنية على القبور على خلاف: منهم من يبطل الصلاة مطلقا ومنهم من يحرمها مع صحة الصلاة ؛ فمنهم من يبطل الصلاة مطلقا ، أي تحريم مع إبطال ، وهذا مشهور من مذهب الحنابلة .

وغيرهم يقول بالمنع مع تصحيح الصلاة ، والأولى للإنسان أنه يستبرئ لدينه وصلاته ويترك الصلاة في المساجد التي فيها قبور خروجا من الخلاف وزجرا للذين يأتون إليها خصيصا من أجل القبور، يعني من باب دعوة الناس إلى عدم الإتيان للمساجد التي فيها قبور، لأنه كما قلنا إذا كان القبر سابقا على المسجد فإن المسجد ينبغي أن يهدم وتبقى البقعة التي فيها القبر ، وإذا كان المسجد هو السابق وأدخل القبر عليه فإن القبر ينبغي أن يدخل رفاته إلى

مقابر المسلمين. فإذا كان الإنسان ليس مضطرا وليس له حاجة في الصلاة في تلك المساجد فإنه يخرج من الخلاف بترك الصلاة لأن من أهل العلم من يجعل الصلاة فيها باطلة ومنهم من يحرم الصلاة فيها مع تصحيحها كما سبق .

« **العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك** » الذريعة إلى الشرك البناء عليها أو الصلاة عندها « **قبل وقوعه مع خاتمته** » وأن الخاتمة أن الساعة تقوم على الكفار وعلى شرار الخلق، وكأن هذا الفعل يؤدي إلى تلك الخاتمة .

« **الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع ، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة** » يعني خلاف الفرقة الناجية. فهي فرق ضلال متوعدة بالنار، والفرقة الناجية هي الثالثة والسبعون وما عدا ذلك فهي فرق ضلال ، فبعض أهل العلم أخرج الجهمية والرافضة من الثنتين والسبعين فرقة ، يعني كأنه يقول أن هؤلاء خارجون من الإسلام بالكلية يعني الروافض والجهمية.

يقول الشيخ : « **وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور؛ وهم أول من بنى عليها المساجد** » يقصد الشيخ العبيديين الفاطميين لما جاءوا إلى مصر نشروا بدعة بناء المشاهد على القبور أو المساجد على القبور أو القباب على القبور ونحو ذلك، وتقديسها وتعظيمها .

« **وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ؛ وهم أول من بنى عليها المساجد**» وهذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

« **الثانية عشرة: ما بلي به** » يعني ما ابتلي به النبي « **صلى الله عليه وسلم من شدة النَّزع** » يعني في مرض الموت وفي الاحتضار كان يوعك، يصاب بتعب شديد، قال: «إني لأوعك كما يوعك رجلان منكم». لكي ينال صلى الله عليه وسلم درجة الصابرين ولكي يكون أسوة للأمة من بعده صلى الله عليه وسلم.

« **الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة** » وهذه ذكرناها أن الخلة لإبراهيم عليه السلام ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

« **الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة** » فإن المحبة ثابتة من النبي صلى الله عليه وسلم لعدد من الصحابة بالنص، وكذلك المحبة ثابتة من الله جل وعلا لعباده. فالله يحب المحسنين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب المتقين. وأيضا المحبة ثابتة من العباد لربهم جل وعلا،

لكن الخلة ليست إلا لأناس مخصوصين.فثبتت لإبراهيم عليه السلام وثبتت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

**« الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة »**

فهو أفضلهم لقوله : **«لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا»** فهذا يدل على أنه أفضل الصحابة رضي الله عنهم وهذا فيه رد على الروافض الذين يكفرون أبا بكر رضي الله عنه.

**« السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته »** قال : الإشارة ولم يقل التصريح ، لأنه لم يصرح بالنص أنه خليفة ولكن أشار إلى خلافته بهذا النص ، يعني أنه الرجل المقدم بعده وأنه الرجل الذي أمره أن يؤم الناس ، كما قال : **{مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا }**([1]) وأمر بهذه العبارة أكثر من مرة وغضب لما لم ينفذ أمره وقال: **«اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»** فهذا كله فيه إشارة إلى خلافته رضي الله عنه ، وفيه رد على الشيعة والروافض في تخطئتهم لخلافة الصديق وأنه أخذها من علي إلى آخر ترهاتهم التي يزعمونها ويقولونها.

**والله أعلم .**

---

[1]) رواه البخاري برقم (٧٣٠٣) .